يؤدي الى مواجهة شاملة مع واشنطن، ويعرقل عملية التقارب المستجد معها؛ ومن جهة أخرى، وفي اطار عملية التقارب نفسها، العمل على تدعيم مواقعها الاقليمية. فمن اجل التفاوض على قدم المساواة مع الولايات المتحدة الاميركية، كان على الاتحاد السوفياتي ان يكون قوة استراتيجية موجودة في مناطق الازمات الاقليمية، وان اقرار السلام في الشرق الاوسط، بعيداً من المشاركة السوفياتية، يضعف نفوذ، ووزن، موسكو في المنطقة. ولهذا السبب، بالذات، ساهم الاتحاد السوفياتي في الحفاظ على حدّ من التوتر، واستجابة للمطالب العسكرية المصرية، وهما السبيلان الوحيدان الى ضمان الاستراتيجية السوفياتية طويلة الامد في مصر والمنطقة(٨١).

ضغوط متناقضة

بيد ان الخطاب الذي انهى به الرئيس المصري انور السادات، من طرف واحد، مهمة المستشارين السوفيات، في الثامن من تموز (يوليو) ١٩٧٢، كان تحوّلاً حاسماً في العلاقات المصرية ـ السوفياتية، لا يقل شأناً عن صفقة السلاح التشيكية الاولى في العام ١٩٥٥. لقد أعلن السادات عن ان كل القرارات المتخذة «يجب ان تصدر عن ارادتنا الحرة، بالذات، وعن الشخصية المصرية، وفي خدمة شعب مصر، الذي لن يقبل، أبداً، الدخول في مناطق النفوذ». وأضاف قائلاً: «ان القرارات السياسية يجب ان تُتخذ داخل مصر، ومن جانب قيادتها السياسية، من دون أخذ اذن مسبق من أية جهة، مهما كانت». وأشار الى التصادم في المواقف بين الطرفين، بالقول: «لقد برزت، احياناً، اختلافات بين وجهات نظرنا؛ ولكنني كنت أرى انها كانت اختلافات طبيعية»(٨٢).

وعلى الرغم من ابلاغ السادات الى السفير السوفياتي في القاهرة ترحيل ١٧ ألف مستشار سوفياتي من على الاراضي المصرية خلال عشرة أيام، فان القرار المصري باغت واشنطن تماماً. وأشارت تقارير الصحافة، في حينه، ان كبار المسؤولين في الادارة الاميركية، «فوجئوا بالقرار»، وان اجتماعات عاجلة، على مستوى عالٍ، عقدت لتقويم نتائج القرار. وعلى سبيل المثال، فقد صرّح وزير الخارجية الاميركية، هنري كيسنجر، بأن «القرار كان مفاجأة كاملة لواشنطن». ولكن بعد يومين من خطاب السادات بشأن طرد الخبراء السوفيات، اعدّ كيسنجر تحليلاً فكرياً، طرح فيه نظرته لابعاد طرد الخبراء على انه نتيجة للتقارب الاميركي ـ السوفياتي، وتبدّد أوهام المصريين، «فقد كان من الواضح، خلال الشهرين الاخيرين، ان المصريين وطّنوا أنفسهم على حقيقة انه لن يكون هناك الاّ القليل من التحريك الدبلوماسي لقضية النزاع العربي ـ الاسرائيلي هذا العام، بسبب الانتخابات الاميركية». ومضى كيسنجر في القول: «انه على الرغم من معقولية هذا التفسير، على الاقل في الظاهر، فقد كان السادات في حيرة من أمره للحؤول دون ان يؤدي هذا الركود الى تجميد دائم للوضع الراهن. وكان الاحباط تجاه غياب تحريك ما للنزاع المصري ـ الاسرائيلي كبيراً للغاية في القاهرة. وقد أكدت القمة السوفياتية ـ الاميركية الشعور بأن ليس هنالك شيء يمكن ان يحدث هذا العام، ووضعت في مكان الصدارة النقد الجاري في القاهرة للدور السوفياتي، حتى قبل انعقاد القمة»(٨٣).

لم يكن دويّ القرار المصري قد خفت بعد، حتى قفل ما يقارب العشرين ألفاً من المستشارين العسكريين السوفيات عائدين الى بلادهم. وكان هذا الانسحاب السوفياتي السريع، والشامل تقريباً، قد عُزي، بوجه عام، الى غضب موسكو من الطريقة المهينة التي استخدمت في دعوة مستشاريها الى الخروج من مصر. ولعلّ هناك سبباً كامناً محتملاً، وهو خيبة أمل السوفيات من عجز الجيش المصري عن اتقان العمل بالمعدّات التي زُوِّد بها، وعدم قدرة السوفيات، تماماً، على تدريب المصريين